

خرجت زينب من بيت أبيها، في طريقها الى سوق السمك، غاضبة . .

كان لسانها يصرخ : انها لا تريد أن تتزوج . وقلبها يهمس : أنت كاذبة ، انك فقط لا تريدن هذا الزواج !
وهذا العناد كان يورق أمها ، ويعذب أبها . .

فقد رفضت شيخ البلد ، لانه رجل مسن ، ولم يحل عليه الحول ، حتى تزوج خيرا منها . .

ورفضت عينا من أعيان القرية المجاورة ، لانه أعور ، وما هو الا عام آخر ، حتى أنجب الاعور من بنت العمدة ولدا له عيون كالنناجيل .

ورفضت خطيبها الثالث لانه فقير .

وهاهي ذى ترفض « جابر » خطيبها الرابع وترفض معه سبعة أفدنة ، وثلاث جواميس ، وشبابا ، وقوه ، وبيتا بلاحماة ، لان له ولدا من زوجة متوفاة .

وفي كل مرة كان أبوها وأمها يحسان في قلبيهما طعنة سكين ، فيغضبان .

ولكن زينب كانت بنتهما الوحيدة ، فمسا هي الا ان تبكى ، حتى يستسلم لرغبتها الابوان .

كانت زينب تحلم بزواج خيالي . . زوج يضعها في قصر مثل قصور الاساطير ، طوبة من فضة ، وأخرى من ذهب ، ويحوطها بالجوارى والعبيد ، ويحجبها عن الشمس ، ويحمي عينيها من

دخان القرن ، ورأسها من حمل الجرار ، وقدميها من ملمس الشوك والتراب .

والقصر مملوء بالمرايا والأرائك والمطور .
لكن هذا الزوج الخيالي لم يأت خلال خمسة أعوام ، وكل الذين رمتهم عليها رياح القدر المعاكس كانوا بلا قصور .
ومع ذلك فقد كان كل شيء في طريقها الى سوق السمك ، يهمس في أذنيها بانها جميلة ، وانها جديرة بأكثر مما تصبو إليه . . من رنين خلخالها الفضي ، الى أنين النواخير ، الى تغريد العصافير .

وبدت زينب لنفسها كمحور تنجذب اليه أقدام الذاهبين من القرية الى السوق ، وخيل اليها ان الذين سبقوها في الطريق كانوا يتباطئون عمدا حتى تلحق بهم ، وان الذين تأخروا عنها كانوا يفدون السير عمدا حتى يدركوها .
وحتى سنابل الحنطة خيل اليها ان أمواجها الذهبية تحت اكف النسيم العابر تلاحقها في الطريق ! .

وازدهتها كبرياء الشباب والحسن فنسيت غضبها وخطابها وأرخت أجفانها بدلال ، وتبسمت ضاحكة للدنيا ، والناس ، وسنابل القمح . ثم استسلمت لفيبوبة حلمها الجميل .
رأت نفسها في قصرها الخيالي جالسة على أريكة من الحرير الأخضر محشوة بزغب الحمام أجمل وأفخم من الأريكة التي تجلس عليها امرأة العمدة ، وتتقبل هدايا القرويات من السمن والبيض والدجاج .

ورأت زوجها وسيدها جالسا بجوارها على الأريكة الحريريّة ، يلقمها حبات العنب ، وتلقمه ثمار العناب .
ورأت امرأة العمدة وقد استحال وجهها الجميل الى وجه قرد ، ووقفت بين جواربها خاشعة تقدم لها قلة الماء ! .

وخيل لها كأن زوجها وسيدها يقول لها : « تمنى على الشمس ، تمنى على القمر ، فيكون لك في غمضة العين كل ماتشائين »
واخذت تفكر في أمنية ، انها لا تريد الشمس ، ولا تريد القمر ،

ولكنها تتمنى ان تلد بقرة أبيها العاصية عجلين في بطن واحد !!
ولكنها قبل أن تنطق ، أحست بصدمة أيقظتها من حلمها اللذيذ ،
فأفاقت من حلمها على ذراع رجل تختلمها من مكانها بقوة ، وتحول
بينها وبين سسيارة اوشكت ان تدسها في السوق .

وكانت ضيابة الحلم لاتزال في أعقابها ، فابتسمت لمنقذها
ابتسامة أميرة الى عبد ، وتهدت نهدا طويلا مثقلا بخمار كخمار
الكاس ثم الفت نفسها في وسط السوق .

كانت سوق السمك تعج بقصدها ، وقد علا فيها ضجيج
المساومات ، وتبودلت ايمان الطلاق بين الباعة والمشتريين
كالفرقات ، ونودي فيها السمك بأجمل النعوت ، وأقبح الاصوات
ووقفت زينب على أول بائع ، وكانت أمامه كومة من المزر
والشيلان يتخاطفها المشترون .

ولم يعجب المزر والشيلان زينب فمطت شفتيها ، وهي
تقلب السمك ، وقالت بصوت منخفض لم يسمعه غير البائع :
« بلا قر ف ! »

ونظر اليها السماك نظرة صارمة ، لم تلبث ان استرخت
واستحالت الى ابتسامة عندما رأى من يخاطب ، وقال لها :
« السوق أمامك واسعة يا ست البنات ! »

وكن البائع الثاني امرأة سليطة مشاكة تضرب يد المشتري
بقسوة عندما يحاول ان يصطفى الكبار من أسماكها ويترك الصفار
.. وكانت كل بضاعتها قراميط .. لاتزال حية ينساب بعضها
بين بعض ، ويتلوى كأنما يبحث عن مخرج الى الماء .
وتلكأت زينب .. هل تشتري قراميط ؟

ان اباهما يحب القراميط المسيلوقة ، وأمهما تصنع من
حسانها ثريدا شهيا ، ولكنها هي .. لاتحب القراميط !

ووقفت حائرة مترددة حينامن الزمن تنلهى بالضحك من
نكات البائعة القذرة ، ودفاعها المجيد عن الاسماك الصفار .
واستلقت نظرها أخيرا قفص ممتلئ بسمك البورى عند بائع
مجاور ، فاندفعت اليه وتركت بائعه القراميط .

ولكن عبور البورى لم تكن تلمع كما ينبغي ، ولا كانت خياشيمها
وردية المرن شأن السمك الطرى ، واحمها لم يكن متماسكا
تمامك اللحم الطيب ، فقالت زينب لنفسها . - « ما أشد
غفلة هؤلاء المشترين . . انهم عندما يصلون الى بيوتهم يسكون
البورى قد أصبح جيفة ! »

وتولت عن بائع البورى الى سواه .
ولم تجد عند البائع الرابع الا فضلات زعمت زينب انها لاتصلح
لغير الكلاب .

وعادت زينب آسفة لبائع البورى فوجدته يطوى مفارشه
الخالية في الاقفاص الفوارغ .

وأسلمت أمرها لله وقالت اشترى قراميط ولكن بأثمة
القراميط كانت هي الاخرى تحسب دخلها بسد ان فرغت
بضاعتها على أيدي المشترين .

والفضلات التي زعمتها زينب لاتصلح لغير الكلاب ، وجدت
أفنديا محترما قد حمل آخر ما بقى منها على الحصير !
واستنكرت ان تعود الى بائع المز والشيلان .

وخرجت زينب من السوق بلا سمك ، فضحكت لأول وهلة ،
ثم بدا لها فعبست ، وأحست ان قلبها يرزح تحت حجر طاحون .
وجلست تحت ظلة في الطريق ، تفكر وتفكر بين سوق السمك ،
وسوق الزواج .

هل يكون هذا هو حظها ونصيبها يتكلم ؟
وازعجها هذا خاطر فهرولت الى سوق السمك تبحث عن بائع
المز والشيلان .

ولكن السوق كانت موحشة مهجورة ، الا من بضعة كلاب ،
تتعارك على الاشلاء الملقاة في التراب .

وظلت وهى عائدة تفكر ، لاني القصر الخيالي ، ولا في الحشايا
السندسية ، ولا في بقرة ابيها العاصية ، وانما تفكر في خطاياها
الذين طردتهم في انتظار العريس الذي لايجيء .

ولم تعد سنابل القمح تلاحقها في الطريق !

وعندما عادت الى بيتها ، كانت مكدودة محطمة ، كأنها كانت
تقتلع حطب القطن طول النهار .

وقالت لامها ، وكأنها تلفظ آخر أنفاسها . - لم أجد سمكا
في السوق !

ولم تقل أمها شيئا ، فقد كانت حزينة من مطلع النهار ، ولأنها
ضربت العجين الذي كان بين يديها بقوة ، في جدار الماعون . .
ولم تحاول أن تجرح ابتهاجها بالفتها الى رائحة السمك المشوي
المتصعدة من فرن الجيران .

ومضت فترة صمت لم يقطعها الا دقات العجين بانظام على
جدار الماعون . . ثم تكلمت زينب في النهاية فقالت : -

- أمي . . اني سأ تزوجه !

وفغرت الام فاهها ، ووقفت يداها ، وقالت : -

- من تتزوجين ؟

قالت : - جابر . . لقد فكرت ، ووجدته في النهاية رجلا

طيبا . . وسيكون ابنه ابني . .

أليس هذا ماكنتما أنت وأبي تقولان ؟

قالت الام ، وقد استأنفت عملها ؟

- هل تعلمين أين أبوك الان ؟

قالت : - من أين لي ان أعلم ؟

قالت : - انه مدعو لمقدقران جابر على بنت الحاج اسماعيل .

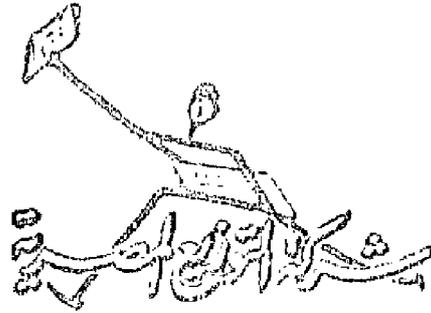
رسمت زينب ، وأحست أكثر من ذي قبل بفداحة عودتها

بلا سمك من السوق !

شهير في نيويورك

بقلم: أحمد أبو القمح

استطاع مؤلف هذا الكتاب ان يقيم خمسة ايام مع الرفيق فيشنسكى وزير خارجية روسيا في مسكن واحد ، ونمكن من معرفة ان سبعة اعشار سكان أمريكا الصهيونية يهتتون الصهيونية ، وان ثلاثة ارباع الثروة في الولايات المتحدة في ايدى النساء ، وشاهد المكان الذى تعيش فيه النساء مهيضة الرجال ، وقابل بائع السجق الذى رفض ان يبيع دكانه الخفير مقابل مايسون دولار .



كتب للجميع

« كتب قيمة بقروش زهيدة »
صاحبة الامتياز: شركة التوزيع المصرية « ت.م.م.م »

عضو مجلس الإدارة المنتدب: السيد أبو النجا

رئيس التحرير المسئول: محمد فائق الجوهري المعاصي

مدير الإدارة: أمين عدلى

الاشتراكات } ٦٠ في السنة في القطر العرب والسودان
8٠ في أوروبا الغربية والامانة في احوال البريد - 11٠ في أوروبا الوسطى

الإدارة: ٨ شارع تريبج سعد بالقاهرة - تليفون ٧٧٣١٩

